يا رحمن الدنيا لانه يعم كل المومن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص بالمومن وعلى
الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها
جسام والنعم الدنيوية جليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي
من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه
لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك
لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه يريد
به جزيل ثواب او مزيد ثنا او يزيح الرقة الجنسية او حب المال عن القلب
ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على
ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي
يحصل بها الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره ولان
الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها
فيكون كالتتمة والرديف له او للمطابقة للمحافظة على رؤوس الاي والا
ظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مونث على فعلى
او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص بهذه الاسما ليعلم
العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي
الذي هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره
الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد
به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثنا على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها
والمدح هو الثنا على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه
ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة
النعمة قولا وعملا واعتقادا قال الشاعر

افادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا *

فهو اعم منهما من وجه واخص من اخر ولما كان الحمد من شعب الشكر كان
اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من
الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام
الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والحمد نقيض الشكر ورفعه بالابتدا
وخبره لله واصله بالنصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل
على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنتصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه

الاشارة

الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة
كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بواسطة او بغير واسطة كما قال وما بكم
من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا
من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما
من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في
الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشي الى كماله شيا فشيا ثم وصف به للمبالغة
كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم
فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره
تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض
فانها لامكانها وافتقارها الى موثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما
جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلا منهم فجمعه بالياء
والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به هاهنا الناس فان كل واحد
منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر
والاعراض التي يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك
سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب
العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد لله
وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي
مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره
مالك يوم الدين قراة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم
لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله وقرا الباقون ملك وهو
المختار لانه قراة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم
والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شا من الملك والملك هو
المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف
وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا
ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم
الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا واضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول

Copyright © King Saud University